مدرسة الأحزاب

ملخص
المحاضرة الخامسة

المحاضرة الخامسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32)

الله سبحانه وتعالى وضع حدوداً وأغلق أبواب الفتنة بين النساء والرجال، حتى في الحديث. لم يمنع المرأة من أن تتحدث مع الرجل، حيث يقول **"وقلن قولًا معروفًا"**، ولكن منع الخضوع في القول، أي تليين صوت المرأة بحيث يجذب قلب الرجل.

يوجد نموذج لحديث رجل مع امرأة في كتاب الله سبحانه وتعالى، وهو قصة موسى عليه السلام مع المرأتين. عندما قال: "ما خطبكما؟"، دخل في الموضوع مباشرة، وردت المرأة: **"لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ"**

فترى أن المرأة تحاول أن يكون حديثها مع الرجل مقتصرًا على المطلوب فقط، وتختصر في الكلام حتى لا تتوسع المواضيع. سقى لهما ثم ماذا فعل؟ توجه إلى الظل وقال: **"رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. "**

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، وهذه هي النتيجة، أن من في قلبه مرض يطمع فورًا.

كما قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ.

اللباس ليس مجرد تفصيل بسيط؛ فلماذا تربطون اللباس بهذا الأمر؟ لا، بل الله قال إن اللباس مؤثر.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ.

هذا هو الاختيار الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، أي أن تستقر المرأة في بيتها ولا تخرج إلا لحاجة.

فهذا هو الحال الأكمل للمرأة، ومن إكرامه لها ألا يضعها في ما لا يناسبها.

كانت وظيفة أفضل أربع نساء خلقهن الله ربات بيوت. خديجة بعد الزواج من النبي صلى الله عليه وسلم أصبحت ربة منزل. فاطمة بنت محمد كانت ربة منزل. مريم ابنة عمران كانت ربة منزل. وآسيا امرأة فرعون نفسها كانت ربة منزل ولم تكن تعمل. هؤلاء الأربعة النساء الكاملات كن ربات بيوت.

والمرأة راعية في أهل بيتها وهي مسؤولة عن رعيتها. الأصل أن المرأة مسؤولة عن بيتها، مسؤولة عن رعاية الزوج والأولاد، التربية، وتوفير المناخ المناسب للزوج، وتقديم العطف والحنان والدعم اللازم. دور المرأة عظيم جدًا مع الزوج والأولاد. إذا أدته بشكل صحيح، تجعل البيت جنة حقيقية إذا عرفت دورها المناسب.

مثل دور السيدة خديجة رضي الله عنها عندما قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: "والله لا يخزيك الله أبدًا". هذا دور عظيم نتذكره، دور المرأة الصالحة مع الزوج، دعم، عناية، رعاية، واهتمام. كانت توفر له الاستقرار الداخلي ليكون مطمئنًا على بيته أثناء توجهه إلى مهماته الخارجية. النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى غار حراء مطمئنًا على الجبهة الداخلية.

ما هي مشكلة النساء؟

أن المرأة وضعت الرجل كمنافس لها، وهذه أكبر كارثة ارتكبتها. بدأت تقيم نجاحها وتحدد إنجازاتها بناءً على مدى قربها أو بعدها عن إنجازات الرجل. هذه الفكرة هي أكبر كارثة اقتنعت بها النساء في الغرب ودمّرن بها أنفسهن. لأنه في النهاية، من المستحيل أن تكون المرأة مثل الرجل، ولا أن يكون الرجل مثل المرأة.

قال الله تعالى لهن: **لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ**

المرأة تقارن بالمرأة، ويمكنها تحديد تفوقها بالمقارنة مع النساء اللواتي يشبهنها في نفس المجالات.

ليس الرجل كالأنثى. وهذا لا يعني أن الرجل أفضل من المرأة أو أن المرأة أفضل من الرجل. أصلًا، لا ينبغي المقارنة بينهما. لكلٍ منهما مجاله الخاص. قال الله تعالى في سورة النساء: **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ.**

هناك حديث شريف يُحسد النساء عليه من الرجال: **(إذا صلت المرأة خمسها، صامت شهرها، أطاعت زوجها، وحصنت فرجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت).**

أما إذا خرجت المرأة للعمل، فهناك شروط: (يجب أن يكون العمل جائزًا، ليس فيه حرام أو ما يستلزم فعل حرام، ولا يؤثر هذا العمل على دورها الأساسي، ويكون بموافقة الزوج أو الأب).

1. إذا كانت المرأة زوجها متوفى، ولا يوجد من يعيل الأسرة غيرها، أو كان زوجها فقيرًا ولا يستطيع تغطية احتياجات البيت، فمن الطبيعي أن تخرج المرأة للعمل لمساعدة أسرتها. في هذه الحالة، تُشكر على جهودها، ولها أجر عند الله لأنها تقوم بدورين؛ دور الزوجة ودور المعيل.

2. أما إذا خرجت المرأة للعمل لأن المجتمع أو العمل نفسه بحاجة إليها، كأن تكون معلمة للبنات أو طبيبة نساء، فإننا بالتأكيد نحتاجها في هذه الأدوار. كذلك، إذا كانت تعمل كمحفظة للقرآن للفتيات أو معلمة في مدرسة بنات، فإن المجتمع بحاجة إليها في هذه المجالات المهمة.

قال الله تعالى :**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.**

التبرج يعني الظهور، أي أي شيء ظاهر وجلي يمكن أن يُعتبر تبرجًا.

من شروط الحجاب الشرعي ألا يكون لافتًا للنظر. إذا كان يُطلق عليه زينة، فهذا يعني أنه لا ينبغي أن يجذب الأنظار أو يجعل الآخرين ينظرون إليها باستمرار. إذا كان حجابك لا يفعل ذلك، فهو ليس زينة في حد ذاته.

هناك مظهر آخر لتبرج الجاهلية الأولى. قيل إن المرأة في الجاهلية كانت ترتدي الخمار، وهو جيد. المرأة في الجاهلية كانت تلبس الخمار، ولكن بدلًا من أن تسدل الخمار أمامها، كانت ترميه للخلف.

تبرج الجاهلية الأولى كان يشبه الحجاب الإسباني الحديث.

المرأة في الجاهلية لم تكن تكشف أجزاء من جسدها بشكل علني. لم يكن هناك شيء اسمه ملابس قصيرة، ولم يكن هناك شيء يُظهر الجسد بشكل فاضح كما نراه اليوم. في الجاهلية، لم يكن جزء من صدر المرأة ظاهرًا، ولم يكن هناك بنطلون مقطع. لو أن امرأة في زمن أبو جهل ارتدت بنطلونًا مقطعًا، لكان دفنها حية.

نحن الآن أسوأ من الجاهلية الأولى.

وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله هي الأساسيات التي يجب على المرأة الاهتمام بها، خصوصًا إذا كانت تقضي وقتها في البيت. فالوقت لا يجب أن يُهدر، بل يجب استغلاله في أداء المهام الواجبة مثل الصلاة، طلب العلم، حفظ القرآن، الاهتمام بالأولاد والزوج، العناية بالبيت، وصلة الرحم. كما يمكن استغلال الوقت في الدعوة، سواء عبر الهاتف أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو الأعمال الدعوية التي يمكن أن تتم عبر الإنترنت. اشغلي وقتك بطاعة الله.

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33).

الله سبحانه وتعالى اختار هذا السلوك لأهل البيت، أي زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ليذهب عنهن الرجس، والمعاصي تعد من أقذر الأشياء في النفوس. المعنى هنا أن كل هذه الآداب الشرعية هدفها حماية المرأة من الوقوع في المعصية.

ويطهركم تطهيرًا، لأن المرأة حساسة ورقيقة. وقد ورد في الحديث أن المرأة كالزجاج، لذا يجب التعامل معها برفق.

الآية دلت بوضوح على أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم هن من أهل البيت، وهذا رد واضح على الشيعة الذين يسيئون لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم ويدعون أنهم شيعة أهل البيت.

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34).

1. **المعنى الأول:** "واذكرن" أي تذكرن في أنفسكن هذه الآيات والحكمة (المقصود بها السنة)، واعملن بها في حياتكن.
2. **المعنى الثاني:** "واذكرن" أي تحدثن بما يُتلى في بيوتكن. لأن في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل القرآن، وكان النبي يقول الأحاديث، وزوجاته كن المصدر الوحيد لنقل هذه الآيات والأحاديث المتعلقة بالتشريعات.

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ...

سبب نزول هذه الآية كان موقفًا عجيبًا. أم عمارة الأنصارية جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: "يا رسول الله، ما لي أرى كل شيء للرجال وما أرى النساء يُذكرن؟" وفي رواية أخرى أن أم سلمة هي التي قالت ذلك، حيث سألت النبي لماذا تأتي الأوامر دائمًا للرجال دون النساء. رغم أن الفهم البديهي هو أن أي أمر للرجل هو أمر للمرأة أيضًا، فالنساء شقائق الرجال إلا ما خصه الدليل للرجال أو للنساء.

سبحان الله، نزلت هذه الآية بعد الطلب مباشرة، جبرًا لخاطر النساء.

هذه الآية باختصار وصفت المطلوب من المسلم، سواء كان رجلًا أو امرأة، وأكدت على أن الجميع متساوون في الأجر والمسؤولية.

- عندما أقول "الإسلام" و"الإيمان"، فإنني أعني أن كل واحد منهما يمثل شيئًا مختلفًا. الإسلام هو الاستسلام الظاهر لله، ويتضمن الأعمال الظاهرة مثل إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، وصيام رمضان.
- أما الإيمان، فهو مرتبط بالعقائد وأعمال القلوب، مثل الإيمان بالله واليوم الآخر. فالإسلام يتطلب منا الأعمال الظاهرة، والإيمان يتعلق بما في الباطن من اعتقادات.
- أما القانتين والقانتات، فهنا يتحدث عن الطاعة العالية. أن تكون مسلمًا ومؤمنًا أمر جيد، ولكن الطاعة المطلوبة هي مستوى أعلى من مجرد الإسلام أو الإيمان الظاهر. القنوت

يعني دوام الطاعة لله، كما كان حال سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي كان مداومًا على الطاعة.

ثم يدخل في محور آخر وهو الصدق. فمع الطاعة والإيمان، يجب أن يكون العمل مقرونًا بالصدق والإخلاص، فلا يكون رياءً أو طلبًا لوجه الناس أو لمصالح دنيوية. بل يجب أن يكون الهدف منه وجه الله تعالى فقط، لذا نحتاج إلى أن نكون صادقين وصادقات في أعمالنا وأقوالنا.

والصابرين والصابرات يتحدث هنا عن الاستمرار والمداومة على الطاعات وتحمل المشاق والصبر على الأذى أو الابتلاءات.

- والخاشعين والخاشعات هذا يدخل في محور آخر وهو كيفية أداء الأعمال. فنحن نحتاج إلى أداء الطاعات بخشوع وإتقان، سواء في الصلاة أو الصيام أو قراءة القرآن. فالخشوع هو أن يكون العمل مصحوبًا بتدبر وحضور قلب، مثل أن تكون الصلاة خاشعة، أو أن يكون الصيام عن شهوات القلب قبل الجسد، أو قراءة القرآن بتدبر.
- والمتصدقين والمتصدقات يشير إلى العلاقة بالآخرين. بعد أن تحدث عن علاقة الإنسان بربه، هنا يتحدث عن العلاقة مع الناس. والصدقة لا تقتصر على المال، بل تشمل الكلمة الطيبة، حسن الخلق، المواقف الحسنة، والكف عن الأذى. فالصدقة تشمل كل هذه الأمور في التعامل مع الآخرين.
- والصائمين والصائمات الصيام ذُكر هنا ليؤكد على مكانته العالية، فهو لا يقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب فقط، بل هو صوم الروح أيضًا، والذي يضيق مداخل الشيطان على الإنسان. والصوم هو العبادة التي خصها الله بقوله: "إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به."
- والحافظين فروجهم والحافظات يتحدث هنا عن العفاف، وهو أساس الحفاظ على الطهارة في المجتمع، وكان كل ما سبق من التوجيهات للمرأة والرجل يهدف في النهاية إلى الحفاظ على الفرج من الحرام، والالتزام بالطهارة.
- الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات يشير إلى أهمية الذكر في حياة المسلم. بعض العلماء قالوا إن الحد الأدنى للذكر هو أن يتعهد الشخص بقول الأذكار المخصصة مثل أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، والخروج والدخول من المنزل، وركوب الدابة، وغيرها. هذه الأذكار تمثل أقل ما يمكن أن يقوم به الشخص ليكون ضمن الذاكرين الله كثيرًا. وهناك من يرى أنه لا يوجد حد معين، بل الأهم هو أن يكون الشخص دائم الذكر لله.
- ثم يوضح الله سبحانه وتعالى أنه أعد لهم مغفرة. وهذه الكلمة تعكس أهمية عظيمة، حيث تشير إلى أن الشخص ليس معصومًا من الأخطاء. قد يحدث الزلل، ولكن ما يهم

هو سرعة التوبة والرجوع إلى الله. هذا يعد تطمينًا، بأننا لا نحتاج إلى أن نكون معصومين، بل يكفي أن نكون متقين لله بقدر استطاعتنا. وإذا أخطأنا، يجب أن نعود بسرعة إلى الله، فمغفرته وعدٌ يستحق الانتظار.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.